التّفاعل بين الصّوتيات وعلم التّجويد ودوره في تشكّل المعنى–سورة الواقعة أنموذجا–

The interaction between phonetics and the science of intonation and its role in the formation of meaning - Surat Al-Waqi'ah as a model

سمية غول، أمينة فريك

[1] المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة(الجزائر)، ghoul.soumia97@gmail.com

[2] المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة(الجزائر)، amina.frik96@gmail.com

تاريخ الارسال2022/08/05.	تاريخ القبول2023/01/19.	تاريخ النشر2023/04/15.

الملخص		Abstract
يعدُّ النّص القرآني مصدر انبعاث جلّ الدّراسات اللّغوية من ذلك الصوتيات، وعلم صرف،وعلم نحو. ولعلّ الدّراسات الصّوتية كانت في طليعة المباحث اللغّوية التّي اهتم بها فطاحل العربيّة بحثا وتمحيصا نحو:الخليل(ت:175هـ)،وسيبويه(ت:180هـ)،وأمثالهم من جباهذة علماء التّجويد والقراءات،ذلك أنّ علم الأصوات نشأ في رحاب هذين العلمين اللّذين سارعا في دفع عجلة الدّرس الصوتّي قدما حتّى أضحى قشيبا مكتمل المباحث،غزير المادة. وقد جاءت هذه الورقة البحثية لإبراز العلاقة القائمة بين الصّوتيات، وعلم التّجويد، والكشف عن طبيعة التّأثر والتّأثير بينهما، متّخذين من سورة الواقعة نموذجا تمثيليا تحليليا، وعليه فما مدى التّفاعل بين علم الأصوات وعلم التّجويد؟ فيم أفاد الدرس الصوتي الحديث علم التّجويد؟ كيف تتضافر الجماليات الصّوتية والأحكام التّجويدية في سورة الواقعة لتشكل المعنى؟		The Qur'anic text is the source of the emergence of most linguistic studies of sound, phonology, grammar. Perhaps phonetic studies were at the forefront of linguistic investigations that he was interested in, so he studied and scrutinized Arabic towards: Hebron, Sibawih., and the likes of them from the eminent scholars of Tajweed and readings, because the science of phonetics arose in the midst of these two sciences, which quickly in He pushed the audio lesson forward until he became a full-fledged investigation, abundant in material. This research paper came to make it clear on the relationship between phonetics and the

science of intonation, and to reveal the nature of influence and influence between them, taking from Surat Al-Qamar an analytical representative model. How did the modern phonetic lesson benefit the science of intonation? How do phonetic aesthetics and intonation provisions in Surat Al-waqia combine to form the meaning?		
Keywords : Phonology ؛ Tajweed, Quranic text ؛ Surat Al-waqia ؛ meaning.		**كلمات مفتاحية:** علم الأصوات؛ علم التّجويد؛ النّص القرآني؛ سورة الواقعة؛ المعنى.

المؤلف المرسل: سمية غول، **الإيميل:** ghoul.soumia97@gmail.com

1.مقدمة:

لقد بدأ اشتغال اللّغويين على اللّغة حينما تطورت اهتمامات العرب بالقرآن الكريم كونه مصدر انبعاث جلّ الدّراسات اللّغوية؛ فقام النحاة منهم بمحاولات تقعيد للعربية ووضع وصف شامل ودقيق لقواعدها اللغوية وما تعلق بمخارج أصواتها، فكان أبرز النحويين الذين كتبوا عنها في مجال دراسة الأصوات اللغوية الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه: العين، وسيبويه في كتابه: الكتاب، وقد اعتبرت دراستهما من أهم الإنجازات المتميزة في الدّرس اللغوي، إلا أنّ هذه الأعمال لم تكن السباقة في تناول الأصوات اللغوية بل عولجت من طرف فرع كبير يسمى بعلم التجويد والذي كان له الفضل في دراسة مخارج الأصوات وصفاتها والتعرض لها دون المساس أو الإخلال بمعاني السور القرآنية .

وقد كانت الأمانة العامة التي حوت الباحثين – نُشير هنا إلى الشغف البحثي الذي تعالق مع السّابقين والذي يمثل دراسة كل ما يتعلّق بقضايا الدّين والتي تحفظ للإسلام حقّه وللفرد مستحقّه- في

الحفاظ على الدّعوة المحمّدية وإثبات صدق نبوّته، هي الطريق الأوّل التي شقّوا بها منتهاهم ليصلوا بأقصى طرف يدعو إلى تحقيق التفاهم بين الأمم والرّقي بالحضارة العربية والإسلامية، ومثّلت مقاصدهم الأولى التي انتحوا بها كلامهم تهدف إلى تحقيق غايات سامية، إنما صوّرت الهدف الأسمى من ضبط الأحكام الفقهية التي فرضتها الشريعة الإسلامية والمتمثّلة في درء المفاسد وتحقيق النّفع للعباد في الدّارين «الدّنيا والآخرة»، هو الإحاطة بالزّلل التي قد يقع فيها الكثير من الناس مع التّنويه إلى بعض المسائل المتعلقة بالقرآن الكريم وما يحتاج إليه في القيام على معناه وقصده وضبط تلاوته عن طريق أحكام التلاوة التي صارت بمثابة الصفة الشرعية المتبعة في إتقان مبادئ القرآن الكريم، فكان علم التجويد أحد الفروع المنطوية تحت علم القراءات الذي جاء في صورته الشاملة بما حمله من مباحث ومسائل متعلقة بحسن استعمال ألفاظ القرآن الكريم على النّهج الذي ورد عن النبي صلى الله عليه وسلّم، قال الله تعالى «**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**»[1] واشتدت الحاجة إلى الاستعانة بأحكام التجويد ومعرفتها لأهميته العظمى في الوقوف على صحة نطق الأصوات من مخارجها مع الحفاظ على معاني آيات الذكر الحكيم ومبانيها.

وإنّ البحث في هذا الموضوع ليس سهلا باعتبار القرآن كلاما معجزا نزل على أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم، وإنّ التعامل معه باعتباره نصا إبداعيا يجعله نصا محملا بمجموعة من المقاصد الربانية الثابتة والمنزلة في شكل صورة لغوية تتميز وحداتها بالمرونة في المحتوى.

وقد اتّبعنا في هذه الدّراسة علة المنهج الوصفي التّحليلي معتمدين على الإحصاء في رصد الظواهر الصوتية من السورة الكريمة، ومن هذا المنظور فإنّ معالجة الدّرس الصوتي في القرآن الكريم من الضروري جدّا أن تكون معالجة عصرية وبمتطلبات الدّراسات الحديثة، وعليه ارتأينا التركيز على الجانب الصّوتي، باعتبار اللغة مجموعة من الأصوات تؤدي غرضا حيويّاً بين المتخاطبين وكذا مستعمليها في إطار ما يحفظ لنا السيرورة الكلامية والقوانين النّحوية التي يخضع لها النظام اللغوي، وما أضفاه علم التجويد من آثار متباينة على الدّرس الصّوتي العربي، إنّما كان لتقويم اللّسان وتهذيب الأنفس. فكانت إشكاليتنا متمحورة في التفاعل الحاصل بين علم الأصوات وعلم التجويد. لتتفرّع عنها مجموعة من الأسئلة المتعلّقة بأصول التفاعل الحادث بين العلمين ونُدرجها جليّاً كما يلي:

- فيم أفاد الدّرس الصّوتي الحديث علم التجويد؟
- وكيف استفاد هذا الأخير منه؟
- وكيف تضافرت الجماليات الصّوتية والأحكام التجويدية في سورة الواقعة لتقوم بتشكيل المعنى وإبراز المقاصد ؟

2.بوادر ظهور علم التّجويد عند العرب:

القرآن الكريم كتاب الله المعجز المحكم، ويكفي فضله على كلام الخلق كفضل الخالق على معبوده، وقد حاول العلماء منذ القديم التعرض له والاهتمام بمعاني مفرداته التي اعتبرت عصب اللغة العربية ومحور علومها، فكانت الفروع المعرفية بأنواعها كالنحو، والصرف، والبلاغة، وعلم الأصوات إنما نشأت في حضن القرآن الكريم لأنه الوحيد الجامع بين فروعها فمكّن هذا التلاقي والتلاقح بين العلوم إلى تشكيل ما يسمى بالدرس الصوتي العربي، والذي ارتبطت بوادر ظهوره بنشأة الدراسات اللغوية العربية والتي يمكن أن نرجعها بمرحلة نزول القرآن الكريم وتدوينه، ثم تلاوته وتعليم قراءته [2]، فكانت الملاحظات اللغوية الأولى السباقة للدّراسات الصوتية صادرة عن العلماء والصحابة خاصة بعد اتساع الفتوحات الإسلامية حيث "اختلفت أوجه الأداء القرآني بين الصحابة فكانوا يتنازعون الآراء في القراءة الصحيحة"[3]، ويتمايزون في وجوه التلاوة، وبعد تفشي اللحن في كلام العرب قام أبو أسود الدؤلي بنقط نص القرآن الكريم وإعجامه ومن بعد وضع الأبواب الأولى للنّحو العربي؛ فتناول الكلام عن الفاعل والمفعول وهو أول جهد لغوي منظم ذكره ابن النديم عنه؛[4] حيث أنّ الدراسات الصوتية لم تأت في البداية مستقلة بمصنفاتها وإنما جاءت مختلطة بالدراسات اللغوية والنحوية الأولى[5] ، والتي تلخصت في جهود مجموعة من النحويين الذين كان لهم الحظ الأوفر في انتقاء كل ما يتعلق بجوانب علم الأصوات فنذكر ما صنّفه "الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت170هـ) في مقدمة كتاب العين عن مخارج الحروف وصفاتها، وسيبويه(ت180هـ) في الكتاب في باب الإدغام خاصة"،[6] وغيرهم أمثال المبرد والمقتضب والزجاجي...الخ.

فيتّضح من خلال تطور هذه الدّراسات أنّ المباحث الصوتية العربية قد تطورت في القرن الرابع والخامس هجري إلى علم مستقل بذاته وإن ظهر تأليفه متأخرا عن علوم القراءات إلا أن أصوله وقواعده

كانت موجودة في الكلام العربي وإن لم تكن مدونة،[7] فقام علماء التجويد باستخلاص المادة الصوتية من مؤلفات سابقيهم من النحويين وصاغوا لهذا العلم الجديد اسما أطلقوا عليه ب" علم التجويد".

ويعرف عبد الغفار هلال علم التجويد بأنه "العلم الذي يبحث فيه عن مخارج الحروف وصفاتها وما تعلق بها إفرادا وتركيبا في القرآن الكريم"[8] . وقد نظم ابن الجزري في الجزرية مفهوم علم التجويد وأعاد صياغته شعراً، فقال:

"وَهُوَ إعْطَاءُ الحُرُوفِ حَقَّهَا مِنْ صِفَةٍ لهَا وَمُسْتَحَقَّهَا

وَرَدُّ كُلِ وَاحِدٍ لِأَصْلِهِ وَاللَّفْظُ فِي نَظِيرِهِ كَمِثْلِهِ

مُكَمِلاً مِنْ غَيرِهَا مَا تَكَلَفَ بِاللُّطْفِ فِي النُّطْقِ بِلاَ تَعَسُفِ

وَلَيسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَرْكِهِ إلاَّ رِيّاضَةُ امْرِئٍ بِفَكِهِ"[9]

وشرح هذا أنّ الحرف يحمل حالتين، حالة الانفراد وحالة التركيب وفي كل منهما أحكام تضبطها.

وعلى الرّغم من أنّ علم التجويد يلتقي في الموضوع بعلم القراءات ألا وهو "علم الأصوات" في مدوّنة واحدة مشتركة وهي نصُّ القرآن الكريم، إلا أنهما يختلفان في الغاية، فعلم التجويد يعنى بدراسة طبيعة الأصوات وصفاتها بينما يعنى علم القراءات باختلاف وجوه القراءة عند القراء. يقول المرعشي في هذا الصّدد:" اعلم أن علم القراءة يخالف علم التجويد لأن المقصود من الثاني معرفة حقائق صفات الحروف مع قطع النّظر عن الخلاف فيها مثلا يعرف في علم التجويد أنّ حقيقة التفخيم كذا وحقيقة الترقيق كذا، وفي القراءة يعرف فخمها فلان ورقها فلان".[10]

3.منهج القدماء في تأليف مصنفات الدراسات الصوتية:

لقد كانت دراسة علماء العربية للأصوات اللّغوية دراسةً قائمةً على المنهج الوصفي التحليلي مما ينمّ عن مدى وعيهم بالصّوت وحركيته، فالذي يقرأ معجم العين يجد أنّ دراسة الخليل للأصوات كانت لأغراض متعلقة بالمعجم وتنظيمه وبالكلمات وأبنيتها، وقد كان هدفهم الأسمى من دراسة الأصوات أن ينطق غير العربي بالأصوات العربية مثل ما ينطق العربي ،[11] وهو اتجاه تعليمي سار عليه الكثير من اللغويين.

ولعلّ أشهر المصنفات التّي تضمنت القضايا الصوتية من مخارج وصفات بالدّراسة والتّحليل، ما نجده عند الخليل في معجمه الذي عُدَّ أول كتاب تضمن مسائل صوتية بالتفسير والتحليل، وكذلك ما نجده عند سيبويه في كتابه الكتاب، وما حلّله وبسَّطه ابن جني في كتابه سرُّ صناعة الإعراب.

وبالانتقال إلى علماء التجويد نجِدُ أنّ دراستهم للأصوات كانت ترتبط بشكل أساسي بمعالجة اللّحن، فقسّموه على نحوٍ معيّن بما اقتضته الدّراسة الصّوتية ذاتها إلى قسمين: اللّحن الجليُّ واللّحن الخفيُّ،[12] أمّا الأول فيُقصَد به الخلل الذّي يطرأ على الأصوات والذّي يظهر في الحركات الإعرابية، وعطفا بالكلام عن الجزء الثاني عُرِّف بأنّه الخلل الذّي يطرأ على الأصوات من حيث مخارجها وصفاتها[13] ، فكان ميدان علم التجويد يقتصر في النّظر على ثلاثة أمور وهي:" مخارج الحروف، وصفاتها، وأحكامها التركيبية" وهي عناصر تكاد تمثل الموضوع الرئيسي لعلم التجويد والمستند الوحيد الذّي أقاموا عليه منهج مصنفاتهم وطريقة معالجتهم للدّراسات الصوتية.

وكذلك فعل علماء التجويد الذين اعتمدوا منهجا وصفيا تحليليا تناولوا من خلاله كل المباحث الصوتية بما فيها :

-" معرفة مخارج الحروف.

-معرفة صفاتها.

-معرفة ما يتحدد لها بسبب التركيب من الأحكام.

-رياضة اللسان وكثرة التكرار".[14]

4. تطوّر الدِّراسات الصَّوتية عند اللِّسانيين المحدثين:

لقد أخذت الدّراسات الصّوتية الحديثة تتطور مع تطور علم اللّغة – وقد كان التعالق الفكري النّاتج عن الموازاة بين الفروع اللّغوية وبين علم التّجويد بمثابة المسار الشائك الذي يُطالب الباحث بطواعيّة، استعمال كلّ ما هو أصيل من المعارف لإنتاج مجال خاصّ يستمدُّ رَوْحه من المرجعيّة الدّينية- وما لُوحِظ جرّاء ذلك الاحتكاك الصّادر عنهما – علم التجويد وعلم اللّغة الحديث- من تأثيرٍ على الوظائف اللّسانية، إنّما كان بمثابة التّمثيل الحقيقي للفرع اللّغوي العام «اللّغة وتطبيقاتها»، فكان للباحثين

الغربيين أثرٌ بالغٌ في إبراز هذا الفرع الذّي يعتبر من أهم الفروع التي تنطوي تحت إطار اللّسانيات، ولما كان هدف اللّسانيات هو دراسة النّظام الدَّاخلي للُّغة والنّظر إليها على أنّها مجموعة من العلامات التي تحقق وظيفة تواصلية داخل المجتمع، كان لابدّ منهم أن يقوموا بتفكيك هذا النّظام المعقد من أجل فهم أبعاده اللّسانية لذلك " قسم اللّسانيون القدرة اللّغوية عند الإنسان إلى عدّة مستويات من أجل تسهيل دراسة الظّواهر اللغوية"[15]، وخلصوا في نهاية الأمر إلى تحصيل أربعة مستويات أساسية وهي: المستوى الصوتي، المستوى الصرفي، المستوى التركيبي، المستوى الدلالي، إلا أنّ المستوى الذّي أعرنا له الاهتمام الأبلغ هو المستوى الصوتي، وبالأخص دراسة مخارج الحروف؛ لأنّ هذه الدّراسة إنّما تقوم بالإحاطة على" إنتاج الصّوت، وانتقاله وتلقّيه"[16].

ويتّضح من خلال تناول كلّ من علماء التّجويد واللّسانيين الدّرس الصوتي، اختلافهم في الجوانب الصوتية المتعلقة بدراساتهم، فجوهر الدّرس الصوتي عند علماء التجويد كما لاحظنا من قبل، إنّما هو متمحورٌ حول المفردات القرآنية؛ لأنّ النص القرآني كان بمثابة المنطلق الرئيسي لأيّ دراسةٍ صوتيةٍ، أمّا عند اللّسانيين المحدثين خاصة الصوتيين منهم، لم تقتصر بحوثهم على كلام القرآن فقط، بل شمِل جميع المظاهر الصّوتية لحروف اللُّغة العربية، ولا ننسى أنّ معظم اللّسانيين قد تبنَّوا منهج علماء التجويد في دراستهم لمخارج الحروف، فتميز منهجهم "بالملاحظة الذاتية المباشرة في معالجة الأصوات ووصفها ومحاولة نطقها نطقا فعليا واقعيا" [17]، لذلك فإنّ الطّرح الفكري الذي مثّل اهتمامات اللسانيين لم يُركِّز على مخارج الأصوات وتصحيحها كما فعل علماء التجويد، بل قام بدراسة مكوّنات الصّوت، وصفاته المختلفة إلى جانب تصنيفها، والتنبيه على اتفاقها وتمايزها في الإنجاز.[18]

5. إفادة الدّراسات اللّغوية الصّوتية علم التجويد:

لقد استفادت الدّراسات الصّوتية اللُّغوية كثيرا من مختبرات الصّوت وأجهزته الحديثة التي تستعمل في دراسة الصوت وتحليله، وتنوعت بذلك مناهج الدراسة ووسائلها وكذا استعمالاتها، فتولّد عن ذلك نشوء ثلاثة فروع لعلم الأصوات وهي:[19]

1.علم الأصوات النطقي: هو الذّي "يهتم بدراسة حركات أعضاء النُّطق من أجل إنتاج أصوات الكلام، وتحديد مخارج الأصوات، وبيان الصِّفات الصَّوتية التي تُشكِّل الصّوت"؛[20] فيقوم الباحث فيه بمتابعة خروج ودخول الهواء إلى الرئتين ليتعرف في النهاية على العمليات العضوية التي تؤثر في إصدار الصوت وطبيعته

2.علم الأصوات الفيزيائي: وهو الذّي يهتم بدراسة الذّبذبات الصوتية التي تنتشر في الهواء لتصل إلى أذن السّامع، ولأنّ هذه الموجات لا ترى بالعين المجردة، عمد المتخصصون إلى الاستعانة بأجهزة تقوم بتحويل تلك الموجات الصوتية إلى تردّدات كهربائية، يتم عرضها على الحاسوب من أجل تحليلها.

3.علم الأصوات السمعي: وله شقان، الأوّل عضوي وظيفته دراسة الذّبذبات الصّوتية، والثّاني نفسيٌّ أو (عقليٌّ) وظيفته دراسة كيفيّة انتقال الأصوات من الأذن إلى العقل مع إدراك دلالتها المعنوية المعنويّة[21].

ومن خلال ما تناولناه سابقاً عن علم التّجويد وعلم الأصوات نخلص إلى توضيح نقطة مركزيّة وهي أهميّة العلاقة الوطيدة التي تجمع بين الاثنين، وذلك بغضّ النّظر عن الاختلاف الشكلي الذّي يظهر في بعض الموضوعات المتعلّقة بهما حيث حاول اللُّغويين الاستفادة قدر الإمكان من التّطور العلمي خدمةً للنَّص القرآني مع عدم الاستغناء عن ثوابت القراءات القرآنية.

ومن هنا يمكن الحديث عن إفادة الصوتيات الحديثة مجال علم التجويد، والذّي سنُلخِّصُه في النِّقاط التَّالية:

- الاعتماد على قياسات الأجهزة في إعطاء أوصاف دقيقة للحروف من حيث تحديد مخرج الصوت تحديدا دقيقا فيزيائيا ومُشخّصاً بالصّوت والصُّورة.
- تحديد صفات الحروف وكيفيّاتها والسّمات المميّزة لكل حرف بتحديد تردُّدِه ووزنه وزمن نطقه وطاقته.[22]

في حين تكمُن الإفادة العُظمى في علم التّجويد كونه استفاد كثيرا من التِّقنية الحديثة من خلال اعتماده على الأجهزة المتطوّرة في منح أوصاف مميزة للحروف، حيث استطاعت إيصال الأحكام النَّظرية

إلى ذهن المتعلم خاصة في مجال تدريس التّلاوة، كونها تُثير المتعة والتشويق وتعملُ على لفت انتباه المتعلم[23]، وبالتّالي إقبال عددٍ كبيرٍ من طُلّاب العلم إلى علم التجويد.

6. التّعريف بسورة الواقعة:

تعدُّ سورة الواقعة من أعظم سور القرآن الكريم التي أعجزت العرب –وكافة المشركين– عن الإتيان بمثل آياتها، فسحرت ألبابهم لما حملته من معجزاتٍ وأخبار الغيب الصّادقة التّي كان يدّعي فيها المشركون أنّها جاءت عبثاً وليس لها من الصّحة أساسٌ. وقد ارتأينا أن نُعرّف بأهم تفاصيلها في جدولٍ يُفصل لنا أضلُعها المعرفيّة أكثر فكانت كالآتي:

مناسبة التَّسمية	سميت هذه السّورة الواقعة بتسمية النبي صلى الله عليه وسلّم.[24]
ترتيبها	56
عدد آياتها	99
الجزء	27
الحزب	54
مكية/مدنية	مكية
محورها الرئيسي	معالجة قضية النشأة الآخرة ردّا على قول المشككين في صحتّها.
فضلها	روي عن ابن وهب والبيهقي عن عبد الله بن مسعود بسند ضعيف أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول:من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا. فكان رسول الله يقرأها في الفجر ونحوها من السّور.[25]

في إطار ذكر مناسبة السّورة، اعلم أنّ المناسبة علمٌ شريفٌ، تحُزر به العقول، ويُعرف به قدر القائل، وهب كذلك في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها. فائدته جعل أجزاء الكلام بعضها أخْذاً بأعناق بعضٍ فيقوي بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله كحال البناء المحكم المتلائم الأجزاء[26].

وربطاً بما حملته البطاقة التّعريفية، نجد أنّ السورة المباركة قد عالجت يوم القيامة بشكل رئيسي فتحدّثت عن الجنة والنّار –باعتبارهما المكان الذي يفصل بين الحقّ والباطل– وعن أحوال اليوم الآخر وتقسيم الناس إلى نصفين، نصف آمن بالله واتّبع تعاليم وحيه، ونصف أنكر وجوده وأكّد على عدميّة الآخرة. وما هو إلاّ كلام في عصر كثرت فيه الأكاذيب والدّعايات– على حدّ قول المشركين–.

والملاحظ أنّ السورة قد بدأت بكلام يغلِبه طابعُ التّهويل بتوقّع حدث عظيم، وهو افتتاحٌ مصحوبٌ بالظرف المتضمّن الشّرط؛ لأنّه يسترعي الألباب لترقّب ما هو آت بعده[27]، وأنّ وقوعها ناصب على الشّك لا مفر منه ولا تغيير في كينونته الدّالة على الحقيقة الغيبية.

ثمّ تطرّقت السّورة الكريمة بشوط جديد يعالج قضية العقيدة، متوخّيا فيها توكيد قضية البعث – باعتباره الموضوع الأوّل للسورة– بلمسات مؤثّرة في حدود مشاهدات لا تخلو منها تجربة إنسان ودرجة معرفته.[28]

فكان الانتقال للحديث عن النشأة الأولى وعرض موتهم، ونشأة آخرين مثلهم من بعدهم في مجال التدليل على النشأة الأولى، كفيلٌ بالإبانة عن الحقيقة التي لا تخرج عن طبيعتها ويسرها عن النشأة التي يعرفونها جميعا.[29] وهذا قياسا على النشأة الثانية ليعلم كل مشرك أنّها من أثر قدرة الله وعلمه، ولا تغيير في دقائق الأمور ولا علمها إلاّ بإذنه.

فعرض بعدها إنشاء الحياة من خلال الإحاطة بصور الحرث والزّرع، وأنّ ما هو للبشر إنّما قد صُوّر بقدرته ولو شاء لم تؤت تلك النّعم. فانتقل ليفصل في صورها في تطرقه لذكر الماء العذب الذي تنشأ به الحياة، وإلى تصوير النار فبيّن منشأها[30]، ودلالتها كانت للتذكير بنار الآخرة التي شكى منها المكذّبون الضّالون.

وبطريقة مماثلة في عرض عظمة الله فقد استغل هذا الشّوط نصيبا لتناول قضية النّص القرآني الذّي حدّثهم عن الواقعة –يوم القيامة– فأدرج سبحانه وتعالى قسما بمواقع النّجوم بغرض التوكيد أنّ هذا الكتاب هو قرآن مجيد كريم بدليل **«فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ المُطَهَّرُونَ»**[31]، فلم يكن القسم إلاّ بدلالة حقيقة القول الإلهي، وأنّها **«تَنْزِيلُ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ»**[32]، فكانت الجملة تابعة لصفة القرآن والقصد منها كان بدلالة بلوغه –القرآن– إلى العالمين بتنزيل من الله[33]، فكانت المرتبة المقدّسة للقرآن تعظيما به، فلا تتقرب إليه النّفوس إلاّ إذا بلغت مرحلة التّطهر، وهو الذّي ترمي إليه مشروعية الطّهارة العامة لمن يريد أن يناجي ربّه دون تضليل.

إنّ مواجهة الله القلوب الميّتة التي لم تزل تقتضي إقامة الحجج والبراهين على صحة الكلام الرّباني قد ظهرت بأبلغ العبارات في لمسة عميقة مؤثرة، حينما وصف لهم مشهد الاحتضار[34] بدليل قوله سبحانه وتعالى **«الحَلقُومَ»**[35]، وأنّ حال المكذّبين يومها أشبه بحالة عاجز لا يتمكّن من إدراك وقائع الأمور ولا الهرب منها.

ثم اختتم السورة بعدها بتوكيد واضح لأخبار الغيب الصادقة، وتسبيح الخالق[36] بدليل **«إنّ هَذاَ لَهُوَ حقُ اليَقِينُ، فَسَبحْ بِاسْمِ ربَّكَ العَظِيمِ»**[37]، فيحكم بناء مطلع السورة وختامها على أكمل وجه.

7. الدّراسة الصوتية للسّورة:

يُعدّ الصّوت اللغوي اللّبنة الأساسية،والنواة الرّصينة لبناء النّصوص،كما أنّ أي دراسة لغوية تحليلية لابد أن تنطلق من الصّوت،كونه أصغر وحدة لغوية يبنى عليها النّص ويقوم، وسورة الواقعة هي من أبرز السّور التّي بنيت على نسق صوتي متناغم متآلف، وهذا ما سنلمسه في المباحث الآتية من خلال رصد الأصوات وترددها.

الصوت	تردّده	الصوت	تردّده	الصّوت	تردّده
الهمزة	99	الراء	59	الغين	04
الباء	51	الزاي	09	الفاء	28
التاء	60	السين	20	القاف	29
الثاء	13	الشين	20	الكاف	40
الجيم	15	الصاد	17	اللاّم	135
الحاء	26	الضاد	07	الميم	130
الخاء	09	الطاء	04	النون	170
الدال	14	الظاء	07	الهاء	26
الذال	11	العين	39	المجموع	1042

الملاحظ من الجدول أنّ سورة الواقعة قد ضمّت عددا هائلا من الأصوات تنوعت بتنوع محاور السّورة المباركة؛ فكان لحرف النون الحضور الأقوى، يليه بعد ذلك اللام والميم ثمّ تأتي الحروف الأخرى بنسب متفاوتة، لتساهم في بناء السّورة المباركة وتناغمها وتآلفها لتشكل بنية متناسقة متناغمة، وحجة قوية على الآخرة والبعث، وسنحاول إبراز بعض من صفات الحروف، وترددها في الجدول التّالي.

صفات الحروف	تردّدها	نماذجها
الجهر	463	النون، اللام، الهمزة
الهمس	259	الحاء، السين، الشين

الشّدة	316	الباء، الجيم، الطاء
التّوسط	533	العين، اللام، الميم
الاحتكاك (الرّخاوة)	193	الخاء، الدّال، الظاء
الانحراف	135	اللام
الغنّة	300	النون، الميم
الصفير	88	السين، الصّاد، الزاي.
التفشي	20	الشين

الظاهر طغيان الأصوات المجهورة على نظيرتها المهموسة بصورة واضحة، كما برز التّوسط وغلب، ذلك أنّ الراء، والميم، وكذا النون من حروف التّوسط المعتمدة بغزارة في السورة، وكان للغنّة دورها الفعال في اكتساب جمال صوتي أضفى حلاوة، وطلاوة لا نظير لها.

8. نماذج من أحكام التجويد في سورة الواقعة:

سورة الواقعة حافلة ثريّة بالأحكام التجويدية التي لابّد على قارئ القرآن إتباعها، وضبطها عند تلاوته، كي تكون قراءته سليمة رصينة تأسر القلب، وتشدّ النفس. وقد حاولنا في الجدول التالي تحديد بعض الأحكام التي ذكرت في السورة كما هو موضح:

الحكم التجويدي	الشّاهد
الإظهار	**«وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَا لمبْعُوثُونَ»**[38]
الإقلاب	**«جَزَاءً بمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»**[39]
الإدغام	**«خَافِضَةٌ رَافِعَة»**[40]
الإخفاء	**«إنّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إنْشَاءً»**[41]
القلقلة	**«لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَة»**[42]
التفخيم	**«وَإنّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلمُونَ عَظِيمٌ»**[43]
مد البدل	**«أَوَ ءَاباؤُنَا الأَوّلُونَ»**[44]

ممّا لا ريب فيه أنّه على قارئ القرآن إتقان مخارج وصفات الحروف إتقانا، والإلمام بكافة الأحكام التي تساعده على ترتيل سليم للآيات القرآنية، ومن هنا يتجلى لنا بوضوح مدى الصّلة الوثيقة بين علم التجويد وعلم الأصوات، وحاجة المسلمين إليهما متجاورين؛ لأنّها السبيل الوحيد الذي يمكننا من ضبط النّص القرآني ضبطا صحيحا.

9. التّفاعل بين الأصوات والأحكام في سورة الواقعة وأثره في المعنى:

شكّلت سورة الواقعة كتلة لغوية مشحونة بالأصوات اللُّغوية، والأحكام التجويدية، التّي ساهمت في تكوين المعنى؛ فالسورة الكريمة عرضت مشاهد يوم القيامة وصورت جزاء المؤمنين والمكذبين فهي بذلك تبشير للمؤمنين الصادقين، وتهديد للمعرضين لكن الغالب عليها قالب التّهويل والتّرهيب،وذلك عن طريق عرض أهوال يوم القيامة، وقد جاءت الأصوات فيها لتحقيق هذا الغرض،فكثرت الأصوات المجهورة على المهموسة، لتناسبها مع الإطار العام للسورة، وتعدّدت حروف التّوسط والشّدة،حيث أنّ التوسط ساهم في التّرهيب والتّرغيب، وهو القصد المنشود الذي يكثر في سور القرآن، وطغت الغنّة بشكلٍ رهيبٍ لتدلّ على مدى أنين وتفجّع النّاس يوم يرون القيامة وأهوالها.

كما برزت الأصوات الشديدة كالقاف، والجيم في المشاهد المفجعة للمكذبين، في حين طغت الرّخوة في الآيات الأخيرة التّي عرضت جزاء المؤمنين.

وقد جاءت الأحكام لنفس الغاية، والقصد حيث لاحظنا طغيان التّفخيم خصوصا مع حرف الراء الذّي مثّل البؤرة الأساسية للسورة ليتماشى هو الآخر مع الدّلالة، ولا يخرج عنها.

وعليه فيمكننا القول أنّ هذه السورة العظيمة قد بيّنت مدى التّفاعل العجيب بين الأصوات، والأحكام، ومدى تأثير ذلك على الدّلالة، كما اتّسمت بطابع صوتي إيقاعي جمالي أضفى رونقا بهيا، برز مع غنة حرف الميم عند كثير من الفواصل.

الخاتمة:

1.إنّ تناول الدّراسات الصوتية لم يكن من قبل المحدثين بل كان السّبق للأوائل في التعرض لها من طرف علماء التجويد والتي تم تأكيدها حديثا.

2.هدف علماء التجويد من دراساتهم كانت بغاية تحسين القراءة لثابتة وسلامة نطقها وتلقيها، أما دراسة اللسانيين فجاءت بهدف تحديد مخارج الحروف واستخلاص سماتها المميزة بدقة إلا أنهما يشتركان في الهدف العام وهو حماية النص القرآني الشريف.

3.هناك علاقة تأثر وتأثير بين دراسات علماء التجويد ودراسات اللسانيين، فالأولى استفادت من أجهزة الصوت الحديثة وأدى ذلك إلى تقسيم علم الأصوات إلى ثلاثة فروع لغوية، والثانية استفادت من ضوابط التجويد في تلقين المتعلمين ولفت انتباههم.

4.سورة الواقعة من أعظم سور القرآن التّي تضمنت محطات كبرى، ومعجزات جبارة، ومشاهد مفجعة أليمة حول يوم القيامة.

5.شكلت سورة الواقعة كتلة لغوية مفعمة بالأصوات القوية الشّديدة، لتناسبها مع المعنى والدلالة القوية التي طغت على جلّ الآيات، والمتمثلة في التّرهيب، والتّهويل.

6.العلاقة بين الصوتيات وعلم التجويد وطيدة شديدة الصلة ذلك أنّ بينهما تفاعلا وتكاملا، وهذا ما لمسناه في السّورة المباركة.

الإحالات:

[1]_سورة المزمل، الآية4.

[2]_ ينظر: غانم قدوري الحمد(2004) المدخل إلى علم أصوات العربية،دار عمار للنشر والتوزيع،عمان/الأردن،ط1،م،ص09.

[3] _ عبد الغفار حامد هلال،(2005)، القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث،دار الفكر العربي للنشر والتوزيع،القاهرة/مصر،ط3م،ص17

[4]_ ينظر: غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية،ص09.

[5]_ ينظر: المرجع نفسه،ص09.

[6]_ غانم قدوري الحمد، (2007)، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد،دار عمار للنشر والتوزيع،عمان/الأردن،ط2،،ص20.

[7]_ ينظر:المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[8]_ عبد الغفار هلال:القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث،ص17.

[9]_ نجيدة ولهاصي،(2014)، بين علم الأصوات وعلم التجويد،مجلة اللغات والآداب،جامعة سيدي بلعباس،العدد الواحد والعشرون، ص140.

[10]_ غانم قدوري الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص22.

[11]_ المرجع نفسه،ص46.

[12]_ ينظر: المرجع نفسه، ص47.

[13] _ ينظر:عبد الرحمان بن سعد الله عيتاني،(2011)، المفيد في علم التجويد،مؤسسة الريان،ط1،،ص28،27.

[14] _ المرجع نفسه،ص57، 61.

[15] _ منصور بن محمد الغامدي،(2011)، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة،الرياض،ط1،م،ص08.

[16] غانم قدوري الحمد،المدخل إلى علم أصوات العربية،ص20.

[17] _ محمد قاصف،(2015)ن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد وعلم الأصوات، جامعة الجزائر، دار معارف للنشر والتوزيع،العدد19،،ص14.

[18] _ ينظر: المرجع نفسه،ص16

[19] _ ينظر: نجيدة ولهاصي،بين علم الأصوات وعلم التجويد،ص142.

[20] _ المرجع نفسه،ص142.

[21] _ ينظر: المرجع نفسه،ص143.

[22] _ ينظر:المرجع نفسه،ص145.

[23] _ ينظر: المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[24]– ينظر:محمد الطاهر ابن عاشور،(1997)، التحرير والتنوير،دار سحنون للطباعة والنّشر،تونس،المجلد 11،اج27–28،د.ط،ص279.

[25]– ينظر:المرجع نفسه،ص279.

[26]– ينظر:بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي،(2006)البرهان في علوم القرآن،تحقيق:أبي فضل الدمياطي،دار الحديث للنشر والتوزيع،القاهرة/مصر،د.ط، ص26.

[27]– ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور،التحرير والتنوير،ص281.

[28]–ينظر:سيد قطب،(1972)، في ظلال القرآن، دار الشروق للنشر والتوزيع،بيروت/لبنان،المجلد السادس، ،ط1، ص3461.

[29]–ينظر:المرجع نفسه:الصفحة نفسها.

[30]–ينظر:المرجع نفسه:الصفحة نفسها.

[31]– سورة الواقعة :الآية79.

[32]– سورة الواقعة:الآية80.

[33]– ينظر:محمد الطاهر ابن عاشور:التحرير والتنوير،ص335.

[34]– ينظر:سيد قطب: في ظلال القرآن،ص3462.

[35]–سورة الواقعة:الآية83.

[36]– ينظر:سيد قطب: في ظلال القرآن،ص3462.

[37]– سورة الواقعة:الآية96.

[38]سورة الواقعة، الآية47.

[39]سورة الواقعة، الآية24.

[40]سورة الواقعة، الآية3.

[41] سورة الواقعة، الآية35.

[42] سورة الواقعة، الآية2.

[43] سورة الواقعة، الآية76.

[44] سورة الواقعة، الآية48.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم.

أوّلا: الكتب.

1.بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي،(2006)البرهان في علوم القرآن،تحقيق:أبي فضل الدمياطي،دار الحديث للنشر والتوزيع،القاهرة/مصر،د.ط.

2.سيد قطب،(1972)، في ظلال القرآن، دار الشروق للنشر والتوزيع،بيروت/لبنان،المجلد السادس، ،ط1.

3-عبد الرحمان بن سعد الله عيتاني،(2011)، المفيد في علم التجويد،مؤسسة الريان،ط1،،ص28،27.

4.عبد الغفار حامد هلال،(2005)، القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث،دار الفكر العربي للنشر والتوزيع،القاهرة/مصر،ط3.

5.غانم قدوري الحمد(2004)المدخل إلى علم أصوات العربية،دار عمار للنشر والتوزيع،عمان/الأردن،ط1.

6.غانم قدوري الحمد،(2007)، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد،دار عمار للنشر والتوزيع،عمان/الأردن،ط2.

7.محمد الطاهر ابن عاشور،(1997)، التحرير والتنوير،دار سحنون للطباعة والنّشر،تونس،المجلد 11،اج27-28،د.ط.

8.منصور بن محمد الغامدي،(2011)، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة،الرياض،ط1.

9.محمد قاصف،(2015)ن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد وعلم الأصوات،جامعة الجزائر، دار معارف للنشر والتوزيع، العدد19.

ثانيا: المقالات.

1.نجيدة ولهاصي،(2014)، بين علم الأصوات وعلم التجويد،مجلة اللغات والآداب،جامعة سيدي بلعباس،العدد الواحد والعشرون.